فزاعة الأقلام والـــــورق

. محمد الهادي بوقرّة .

مَا الذي يستحقُّ البقاءْ،
غَيْرُ كُلِّكِ يَهْرُبُ منْكِ وَيَنْدَسُّ فِيَّ،
وكُلِّي يَهْرُبُ مِنِّي ويَنْدَسُّ فيكِ،
عَلَى وهْجِ هَذا اللِّقَاءْ،
فإذَا نَحْنُ
وَرْدَةُ مَعْنَى
يَخَافُ تَوَقُّدَنا فِي وُرَيْقَاتِهَا
كُلَّ بَرْدِ الشِّتَاءْ؟
مَا الَّذي يستحقُّ البقَاءْ؟
مُذْ هَرَبْتُ منَ الموْتِ ثُمَّ هَرَبْتُ إِلَيْهِ،
تَتَبَّعَني في الْمَقَاهِي وَفِي لَفَتَاتِ النِّسَاءْ.
وَهَرَبْتُ منَ الْمَوْتِ ثُمَّ هَرَبْتُ إِلَيْهِ،
وَفِي أَسْفَلِ الْحَبْلِ،
نَحْنُ اكْتَشَفْنَا مَعًا
أَنَّنَا، أَنَا وَالْمَوْتُ كُنَّا وَنَمْلُ الْحَيَاةِ،
ثُلاَثُتُنَا أَصْدِقَاءْ
نَرْتَدِي نَفْسَ هَذَا الضَّيَاعِ
وَنَشْرَبُ نَفْسَ الْعَذَابِ
وَنَرْقُدُ فِي نَفْسِ هَذِي الثِّيَابِ
وَفِي نَفْسِ هَذَا الْحِذَاءْ.

❖ ❖

قَهْوَتِي مُرَّةٌ دَائِمَا..
وَأَنَا لَسْتُ حَيّاً.. وَلَسْتُ قَتِيلاً.
غَيْرَ أَنَّ الْحَبِيبَاتِ يَذْهَبْنَ قَبْلَ اشْتِعَالِ الْهَوَى،
أَوْ يَجِئْنَ بَعِيْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ قَلِيلاً،
وَيُخَلِّفْنَنِي فِي سُدَى الْحَالَتَيْنِ
أُعَضْعِضُ قَلْبِي،
وَأَرْفَعُ وَحْدِي إِلَى قَمَرٍ فِي الْقَصِيدَةِ،
هَذَا العُوَاءْ.

❖ ❖

مُرَّةٌ قَهْوَتِي دَائِما
غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ فَمِي،
فِي كَثَافَةِ ذَقْنِي والشَّارِبَيْنِ،
تَهَيَّأَ عُشًّا.
كُلَّمَا قُلْتُ لِي تَوْأَمِي،
تَتَقَاطَعُ فِيَّ الْمَعَانِي عَلَى أَعْظُمِي
والقَصِيدةُ فَزَّاعَةُ الْوَقْتِ..
عُودَانِ.. شَكْلُ الصَّلِيبِ الْمُثَبَّتِ فِي داخلي..
كُسِيَا معطَفًا بالِيًا مَدَّ كُمَّيْهِ فِي الْجِهَتَيْنِ.
وَرَأْسِي قِدْرٌ مُعَلَّقَةٌ مُلِئَتْ وَجَمِيعُ جُيُوبِي،
.. أَغَانِي.. وَبَيْضًا.. وَقَشًّا..
وأنا واقفًا كنتُ أَوْ أَتَمَشَّى
يَهْرَبُ النَّاسُ، أَوْ هَؤُلاَءْ..
يَهْرَبُ الكُلُّ مِنِّي، حَتَّى إِذَا أَمْسَكَتْ بِيَدِي طِفْلَةٌ
وَمَضَتْ بِي إِلى فرحٍ فِي الدُّمَى
وَجَدَتْنِي طِفْلاً يَكَادُ يُكَسِّرُنِي الدَّمْعُ، هَشًّا.
وَضَمَمْتُ إِلَيَّ الْمَدَى،
وَفَتَحْتُ لَهَا بَيْنَ جَنْبَيَّ أَجْمَلَ مَمْشَى..
وَأَحْلَى سَمَاءْ.

❖ ❖

مُرَّةٌ قَهْوَتِي..
وَأَنَا ذَاهِبٌ فِي القَصِيدِ إِلَى قَلَقِي،
أَمْسَكَتْ بِيَدِي طِفْلَتِي
وَجَرَتْ بِي تُبَعْثِرُ كُلَّ الرَّبِيعِ عَلَى طُرُقِي.
ثُمَّ مَالَتْ عَلَى وَجَعِي..
سَأَلَتْنِي أُعْطِيهَا صُورَتِي،
فَتَقَاطَرَ حَبُّ النَّدَى وَنَبِيذُ السَّمَاءْ
شَجَنًا وَجُمَانًا عَلَى أَضْلُعِي.
وَتَرَكْتُ لَهَا دُمْيَةَ الْخِرَقِ،
قَلَمَيْنِ وَحِيدَيْنِ كَانَا مَعِي

وَزُجَاجَةَ محْبَرتِي
وَبَقِيَّة ما عشْتُ أَلْبَسُ منْ وَرَقِي.
ثُمَّ عُدْتُ إِلَيَّ،
فوَقَفْتُ عَلَيَّ،
ومَضَيْتُ، بغَيْرِ عَزَاءْ.
❖ ❖
مُرَّةٌ دَائمًا قَهْوَتِي..
وَأَنَا طِفْلَتِي
بَقِيتْ طِفْلَةً تُشْتَهَى فِي النِّسَاءْ.
تَتَسَلَّقُ وَجْدَ النَّخِيلِ عَلَى ما تَكَسَّرَ منْ أَضْلُعِي،
وَتُلاَعِبُ أَطْيَافَهَا فِي سَرَابِي وَفِي قَهْوَةِ الشُّعَرَاءْ،
وَتَعُودُ إِلَى خِرْبَةٍ فِي القَصِيدِ، مَعَ الفُقَرَاءْ..
فَتُقَاسِمُهُمْ حِنْطَتِي،
وَقَدِيدِي،
وَمَا تَرَبَّبَ لِي فِي العِبَارَةِ منْ أَدْمُعِي،
وَتُقَاسِمُهُمْ مزَقِي.
فَإِذا أَجْدَبَتْ فِي الْمَوَاسِمِ أَهْدَابُنَا،
أَخْرَجَتْ دُمْيَةَ الْخِرَقِ
وَتَعَالَى الحدَاءْ:
«أُمِّي طَنْبُو بِسْخَايِبْهَا
طَلبتْ رَبِّي ما يخَيِّبْهَا»
وَهْيَ عَبْرَ الشَّوَارِعِ تسْتَنْزِلُ الْغَيْثَ لِلْبُؤَسَاءْ
وتُعَلِّقُ فِي كُلِّ نافِذَةٍ،
وَعلى كُلِّ بَابٍ،
حُزْمَةٌ منْ غِنَاءْ.
❖ ❖
مُرَّةٌ دَائمًا قَهْوَتِي..
مُرَّةٌ دَمْعَتِي..
وَأَنَا العَائِدُ الآنَ لِي،
يَهْرِبُ النَّاسُ، أَوْ هَؤُلاَءْ،
وَيَفِرُّونَ مِنِّي عَلَى طُرُقِي،
مَا عَدَا طِفْلَةٍ وَسَطَ السَّاحَةِ اضْطَجَعَتْ
وَعَلى صَدْرِهَا دُمْيَةُ الْخِرَقِ،
يَتَطَايَرُ منْ حَوْلِها مَا تَنَاثَرَ منْ وَرَقِي،
وَعلَيْهَا، وَلِي..
حِبْرُ هَذَا الْبُكَاءْ.

قفصة (تونس)